الإنسانوية الحديثة: دراسة ونقد[1]

د. سيد علي حسني[2]

ترجمة: د. محمد فراس الحلباوي[3]

ملخّص

تحدَّثنا في هذا المقال بداية عن تعريف الإنسانوية، وأوضحنا أسبابَ التشتُّت في تعريف الإنسانوية وتنوُّعه. وقد أشرنا متابعة للبحث وتوضيحاً لتاريخ الإنسانوية الحديثة إلى ثلاث مراحل: الإنسانويّة في عصر النهضة، الإنسانوية في عصر التنوير، والإنسانوية الحديثة، ثم عرضنا لميِّزات كلٍّ منها، وثم فصَّلنا بين أنواع الإنسانوية وهي: الإنسانوية الدينية، والإنسانوية العلمانية، ثم شرحنا مبادئ الإنسانوية كالنَّزعة الطبيعية ومصدر قيميّة البشر، وحرية الإنسان والنزعة العقلانية، وأخيراً عرضنا بعضَ الانتقادات الموجَّهة للإنسانوية.

الكلمات المفتاحية:

الإنسانوية، الإنسانوية في عصر النهضة، الإنسانوية التنويرية، الإنسانوية الحديثة، مبادئ الإنسانوية، الإنسانوية العلمانية، الإنسانوية الدينية (المسيحية).

---

1 - المصدر: المعرفة الفلسفية، السنة العاشرة، ربيع 2013، العدد 3 (المتسلسل 39)، ص.ص. 115 - 144.

2 - أستاذ مساعد في قسم الأديان في مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والأبحاث.

3 - دكتوراه باللغة الفارسية وآدابها، جامعة طهران، محاضر في جامعة دمشق.

مقدمة

يَجري الحديثُ كثيراً في الوقت الحالي عن الإنسانوية ومحورية الإنسان، التي تَناولها كثيرٌ من المؤلَّفات، لدرجة أنه عُدَّ هذا الموضوع أحدَ أركان الثقافة والفكر الغربيَّيْن، وقد ينتهج بعضُ الكُتَّاب في كتاباته منحًى نقديّاً لفكرة الإنسانوية، لكن قلّما يجري الحديث عن تعريف الإنسانوية ومراحلها ومبادئها أو الدراسات عنها. وقد أدَّت نُدرة هذه الدراسات لاتِّهام مَن لا يَقبلُ كونَ الإنسان هو المحور في الثقافة الغربية وفكرها: بعدم الفهم الصحيح لتلك الثقافة؛ لأن الإنسانوية في العصر الحديث قد طوَت مراحل عديدة، وكانت ثمة مزايا تختصُّ بها في كل مرحلة، تختلف عن الفهم السائد للفكرة في عصرنا الحالي. وسنقوم في هذا المقال بتناول الإنسانوية من زاوية الإجابة عن التساؤلات حول ماهية الفكرة محاولين تفكيكها ونقدها.

أولًا: تعريف الإنسانوية

المعنى اللغوي: أُستُقِيَت مفردة (Humanism) من المفردة اللاتينية (Humus) بمعنى التراب أو الأرض، وكانت هذه المفردة بدايةً منبثقةً عن التقابل بين فئتين من الموجودات، يعني الموجودات الترابية (الدنيوية) من غير البشر من جهة، والقاطنين في السماوات أو الآلهة (Deusldivus, Divinus) من جهة أخرى. فكان المُحقِّقون وعلماء الدين في نهاية العصر القديم والقرون الوسطى يفرِّقون بين:

(Divinitas) بمعنى الإطار المعرفي والممارسة العملية المُستلهمَتين من الكتاب المقدس.

(Humanitas) بمعنى الإطار المختص بالقضايا العملية والحياة الدنيوية.

وبما أن الإطار الثاني كان يستلهم قِسمَه الأوفى وموادَّه الخام من المدونات الرومانيّة، وما يرتبط باليونان القديم، فقد أطلق المترجمون والمعلمون، لهذه المدوَّنات، على أنفسهم لقب الإنسانويين[1] (Umanisti)، وكانوا في الغالب من الإيطاليين.

1 - Tony Davies, Humanism, p.p. 125- 126.

وقد استُخدم مصطلح (Humanis) لأول مرة في القرن التاسع عشر 1808م، ضمن تأليفات المفكرين الألمان، مُشيراً على الأغلب إلى نوع من التربية والتعليم، وآخذاً بعين الاعتبار المؤلَّفاتِ اليونانية واللاتينية الكلاسيكية. وعُرضت في إنجلترا مفردة الإنسانوية بعد حين. والوثائق الأولى التي استخدمت هذا المصطلح هي مؤلفات (صموئيل تايلور كالريج - Samuel Taylor Coleridge) ومدوَّناته في العام 1812م، حيث استخدم في هذه المؤلفات مفردة الإنسانوية حول رؤية مسيحية خاصة تُؤمن بكون عيسى المسيح بشراً لا إلهًا، واستُخدمت هذه المفردة لأول مرة في العام 1832م بمعناها الثقافي[1].

المعنى المصطلحي: ثمة تعاريف متنوعة للإنسانوية تُشير تارة إلى مجموعة من المفاهيم المرتبطة بطبيعة الإنسان وميزاته وقيمه وقوته وتعليمه، وتُطلق الإنسانوية تارة أخرى على نظام فلسفي متماسك، قابل للإدراك، وله ادِّعاءات وجودية ومعرفية وإنسانية وتعليمية وجمالية وأخلاقية وسياسية، وهناك معنى آخر للإنسانوية تُفهَم بموجبه على أنها أسلوب ومجموعةٌ من الأسئلة المرتبطة تقريباً بالطبيعة البشرية وبالسِّمات الخاصة بها[2]، ويُعبرَّ عنها أحياناً بالنهضة الفلسفية والأدبية، التي تُشكِّل أحد أعمدة الثقافة الجديدة[3]، أو يَعدُّونها أحياناً فلسفة تعترف رسميّاً بقيمة الإنسان أو بمقامه، وتجعله ميزاناً لكل شيء[4]. وبتعبير آخر تجعل من الماهية الإنسانية وحدود الطبيعة البشرية وارتباطاتها موضوعاً لها[5]، وبعضهم أيضاً يرى أن الإنسانوية ليست نهضة أدبية، بل هي نهضة فكرية ونوع من التحوُّل في القيم والوعي الذاتي المتزايد بالروح البشرية.

بدأت النهضةُ الإنسانوية أو النهضة الفكرية الإنسانية في الزمن الذي أعرض فيه التنويريُّون

1 - Alister E. McGrath, Reformation Thought an Introduction: 1997, p. 42.

2 - Luik John, «Humanism», p. 528 & James Hitchcock: What is Secular Humanism? p.p. 8- 9.

3 - إشبيل فوغل: الحضارة في غرب الأرض، ج1، ص 542.

4 - Josh McDowell & Don Stewart, Handbook of Today Religions: Understanding Secular Religion, p.76.

5 - Nicola Abbagnano, “Humanism”, in The Encyclopedia of Philosophy, p.p. 6970- & A. S. P. W, 1971, p.p. 825- 826.

في المدينة تدريجيّاً عن القِيَم العظيمة التي كان الدِّينُ يَفرضها عليهم، إثر ظهور المدن واتجاه سُكَّانها نحو القيم الملموسة أكثر في الطبيعة والإنسان[1]، وفي تقويم آخر قيل إنَّها نهضة ثقافية ظهرت في أوروبا إثر التعرُّف على الثقافية الرومانيّة القديمة، التي كانت تسعى للوصول إلى أهداف ثقافية حديثة، مبنيّة على أهداف ثقافية قديمة، لمواجهة الأهداف الثقافية في القرون الوسطى، بتعبير آخر كان هدف هذه النهضة ازدهار جميع القوى الروحية والباطنية للبشر وتكريس «إنسان مدرك لذاته»، وتحرير العلم والحياة الأخلاقية والدينية للبشر من سيطرة الكنيسة[2].

ويمُكن تلخيص المعاني المستخدمة للإنسانوية منذ القرن الرابع عشر وحتى القرن التاسع عشر في عدة مجموعات:

1. أنها خطة تعليمية ناتجة عن تأثير التأليفات للكُتّاب الكلاسيكيين، تُركِّز على دراسة قواعد اللغة والمعاني والبيان والتاريخ والشعر والفلسفة والأخلاق.

2. أنها الالتزام بـ «محورية الإنسان» ومصالحه ورؤاه.

3. أنها الإيمان بالعقل والسلطة الذاتية والاستقلال، باعتبارها أهمَّ الأبعاد الوجودية للإنسان.

4. أنها الاعتقاد بأن العقل والشكَّ والمنهج العلمي هي الأدوات الوحيدة المناسبة لاكتشاف حقيقة المجتمع الإنساني وبنائه.

5. أنها الاعتقاد بتوفُّر الأسس الأخلاقية والمجتمعية ضمن الاستقلال والتساوي الأخلاقي.

وبعد نهاية القرن العشرين ظهرت جوانب خاصة من الاعتقادات الإنسانوية الرئيسة مثل: تفرُّد الإنسان والمنهج العلمي والعقل والاستدلال في النُّظُم الفلسفية كالوجودية والشيوعية والبراغماتية[3].

---

1 - ج. برونوفسكى و ب. مازليش: منهج التنوير في الغرب، ص101.

2 - ياكوب بوكهارت: ثقافة النهضة في إيطاليا، ص32.

3 - John Luik: “Humanism”, in Routledge Encyclopedia of Philosophy, p. 528.

ثانيًا: تاريخ الإنسانوية

يُنظر عادةً إلى الإنسانوية الحديثة بكونها مستلهمة من إيطاليا، وغالباً ما يُعَدُّ (فرانشسكو بتراركا 304م- 1374م Francesco Petrarca1) عرَّاب النزعة الإنسانية في عصر النهضة الإيطالي، حيث سعى أكثرَ من غيره في القرن الرابع عشر لنشر أفكار النزعة الإنسانية النَّهضوية، وكان أول مُفكِّر أطلق على مرحلة القرون الوسطى لقب «عصور الظلام»[1].

كانَت الإنسانوية متجذِّرة غالباً في المناهج الإيطالية الكلاسيكية، في طيَّات اللغة والبلاغة، وكتابة الرسائل والخطابة، وانطلاقًا منها تغيَّرت صنعة كتابة الرسائل والخطابة رُويداً رويداً، واستفردَت مدرسة (سيسرون) وباقي الكُتَّاب الكلاسيكيِّين بالساحة أكثر من ذي قبل، تَبِعَ ذلك نفوذُ الإنسانويِّين الإيطاليين بقوة، منذ القرن الرابع عشر وما بعده، في العملية التعليمية في المدارس الابتدائية والجامعات، وهكذا فقد اشتملت الدراسات الإنسانوية أو "العلوم الإنسانية" في النصف الأول من القرن نفسه على دراسات تدور حول قواعد اللغة والبلاغة والشعر والتاريخ وفلسفة الأخلاق[2].

يُمكِنُ القولُ بالنظر إلى هذه الخلفية بأنَّ الميزة الرئيسة لهذه النهضة في بدء الأمر هي أنها بدأت حركتها وتابَعَتْها لا على يد الفلاسفة المحترفين، بل من قِبَل الأدباء والمؤرخين وعلماء الأخلاق والساسة، بل إنَّها كانت على نزاع مع فلاسفة زمانها، لذا يُمكِن أن ندَّعي -من خلال هذا الوصف- أن الإنسانوية النهضوية لم تكن نزعةً أو نظاماً فلسفيّاً، بل كانت عوضاً عن ذلك برنامجاً ثقافيّاً وتعليميّاً يُركِّز على أهمية مجال ما من الدراسات وهو الأدب[3]، ومن خلال إحيائها لثقافة اليونان القديمة فقد نبَّهت الإنسانويةُ الأوروبيين إلى المؤلَّفات المتنوعة في العصور القديمة. وبتعبير آخر لم يكن للإنسانوية تأثير مباشر في تطوير العلم، بل قامت من خلال إحيائها للثقافة الدنيوية الكلاسيكية بإيقاظ الأوروبيين الذين كانوا راضخين للدين وأسرى له بشدة، وتنبيههم للأمور الدنيوية التي تطرَّقت لها المؤلَّفات الكلاسيكية بوضوح.

---

1 - إشبيل فوغل: الحضارة في غرب الأرض، ج 1، ص 542.

2 - Paul Oskar Kristeller: Renaissance Thought and its Sources, p.11.

3 - Ibid, p. 515.

إنَّ أحد الأعمال المهمة، التي جرت منذ بداية العصر الإنسانويِّ، هو إقصاء سلطة (أرسطو - Aristotle) عن الفلسفة الأوروبية، وإحلال (أفلاطون - Plato) أو - بتعبير أفضل- «المدرسة الأفلاطونية الحديثة» مكانها[1]، كانت تُرجمت مؤلَّفات (أفلاطون) على يد شخص يُدعى (مارسيليو فيسينو - Marsilio Ficino)، وقد وقف حياتَه لترجمة كتب (أفلاطون) وشَرحِ فلسفته الموسومة بـ «الفلسفة الأفلاطونية الحديثة»[2]، وجذبتْ مؤلَّفات (أفلاطون) الإنسانويين إليها أكثر من أي شيء آخر وفتنتهم بها، فهاموا بأسلوب كتابة (أفلاطون) السَّلِس واللَّطيف، كما جذبَت تعاليم العودة إلى المنابع المستنبطة من مؤلَّفات (أفلاطون) الإنسانويين إليها، إذ عَدُّوا الإنسان استناداً إليها بمثابة عينٍ نَضّاحة، ينبغي للفرد أن يعود إليها[3]، وقد كان أحد أسباب التوجُّه لمؤلَّفات (أفلاطون) أن الإنسانويين كانوا يشعرون بغبطة تجاه الحرية التي كان اليونانيُّون يتمتَّعون بها في زمن سقراط؛ إذ كانوا يستطيعون البحث في أكثر الأمور الدينية والسياسية حساسية، وكانوا يمَدحونهم ويظنُّون أن في فلسفة أفلاطون -التي كانت قد ظلَّلَتها أفكار فلوطين بظلال غامضة- نوعًا من فلسفة المسرح الغامض[4]، التي يمُكِن من خلالها البقاء في المسيحية، المسيحية التي لم يستمرُّوا على الإيمان بها، لكنهم لم يتخلَّوا عن حبِّهم لها بتاتاً[5].

وعلى الرغم من أن الإنسانويين كانوا المهيمنين على الحياة الفكرية في أوروبا الغربية، على مدى قرن كامل، لكن لم يكن لهم أدنى نفوذ في الجامعات، مع أن سيطرة حالة الإحياء الأدبية وانتشارها غالباً ما كان يجري من خلال الأكاديميات، التي أسَّسها الأمراء المُحبُّون للثقافة في «فلورنسا» و «نابولي»، واستمرَّ هذا التيار بحركته وفتح أوروبا إلى ما وراء «جبال الألب»، وباتَت الدُّوَلُ تتقبَّل الثقافة الجديدة واحدةً تلوَ الأخرى، وتضع أقدامها على أعتاب عصر جديد مُودِّعةً العصرَ القروسطي.

---

1 - Nicola Abbagnano: “Humanism”, in The Encyclopedia of Philosophy, Paul Edwards, p. 131.

2 - إشبيل فوغل: الحضارة في غرب الأرض، ج 1، ص 546.

3 - Nicola Abbagnano: “Humanism”, in The Encyclopedia of Philosophy, Paul Edwards, p. 132.

4 - نوع من المسرحيات التي راجت في القرون الوسطى وكانت تركز على المفاهيم الأزلية – الأبدية والكتاب المقدس والخلق. (م)

5 - ويل ديورانت: تاريخ الحضارة، ج5، ص.ص. 90 - 91.

وَلَجَ الفكرُ الإنسانوي بمَسعًى من أب الفلسفة الجديدة (رينيه ديكارت - René Descartes) مرحلة جديدة، استناداً إلى رؤيته بأن الإنسان ومضمون أفكاره وإدراكه هو المحور لجميع الحقائق، والإدراك اليقيني بوجود الأشياء وصفاتها، وقد سعى (ديكارت) من خلال عرضه لمبدأ "أنا أُفكِّر إذاً أنا موجود" (المعروف بـ"الكودجيتو الديكارتي"، وهو مختصر عن العبارة اللاتينية Cogito Ergo Sum)[1]، لجعل الإنسان محوراً للمعارف اليقينية بهدف إظهار هوية جديدة للإنسان[2].

وبعد عصر التَّنوير تَطأُ الأقدام عصرَ الحداثة، وقد اتَّسعت فيه رقعةُ الإنسانوية أكثرَ فأكثرَ، وظهرت مدارس كثيرة متأثِّرة بالإنسانوية، كالشيوعية والوجودية والوضعية والفلسفة التحليلية، بحيث يمكن مشاهدة ثلاث مراحل للإنسانوية منذ عصر النهضة وحتى عصرنا الراهن:

1. الإنسانوية النهضوية (منذ عصر النهضة وحتى القرن الثامن عشر).
2. الإنسانوية التنويرية (القرن الثامن عشر).
3. الإنسانوية الحديثة (منذ القرن العشرين وما بعد).

في الإنسانوية النهضوية كانت جلُّ مساعي الإنسانويِّين هي عرضُ برامج ثقافية وتعليمية تُمكِّنُهم من توسيع رقعة فنِّ الكتابة والكلام، وكانوا يبحثون عن هذا الأمر في دراسة مؤلَّفات المُتقدِّمين (الفلاسفة اليونان والرومان القدامى)[3]،

فيما كانت الميزة الأبرز للإنسانوية في عصر التنوير، والتي اشتهرت بالإنسانوية العلمية أو العلمانية أيضاً، هي التركيز على العقل، وترافقَت هذه المرحلة الشاملة للقرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديَّيْن مع ظهور مُفكِّرين كـ(ديكارت) و(فولتير - Voltaire) و(روسو - Rousseau) و(مونتسكيو - Montesquieu) و(هيوم - Hume) و(كونت - Comte).

وقد ركَّز أولئك المُفكِّرون على أن قلق الإنسان، والهدف الرئيس له، ليس تحقيق الإرادة

---

1 - رينيه ديكارت: تأملات في الفلسفة الأولى، ص.ص. 37 - 38.

2 - دان كيوبيت: بحر الإيمان، ص.ص. 161 - 162.

3 - John Luik: "Humanism", in Routledge Encyclopedia of Philosophy, p. 529 & Paul Oskar Kristeller: Renaissance Thought and its Sources, p. 25 & James Hitchcock: What is Secular Humanism? p. 25.

الإلهية، بل تشكيل المجتمع البشري والمجتمع الخاص به، استناداً إلى العقل، وذهبوا إلى أن منزلة الإنسان ليست تابعة للمرجعية الإلهية، بل مَردُّها تحقيق الإمكانات العقلانية لوجود الإنسان الدنيوي.

فيما كانت الإنسانوية في عصر التَّنوير ترى أنَّ الفهم الصحيح للإنسان لا يتأطَّرُ في دائرة الإيمان وتعاليم الروح المخلوقة والسامية، المُوجَدة من قِبَل الإرادة الإلهية، بل بالارتكاز على العقل البشري وحريّته، واستناداً إلى ذلك، فقد عُرض تعريف جديد للإنسان آخِذاً بالحسبان حريَّتَه، وانتفَت من دائرة الوجود كلُّ فكرة أو خبر عن الله والإرادة الإلهية والشرائع المُحدَّدة مُسبقاً لحياة الإنسان الطيِّبة، بل إن النقطة المُميِّزة للإنسانوية في عصر التنوير، في مرحلته السابقة واللاحقة، يَكمن في هذه النقطة: بأن الإنسانويِّين في هذه المرحلة كانوا متفائلين جدّاً بقُدرة العقل البشري على وصف العالَم ونُظُمِه وقبول مسؤولية ما ينجم عن ذلك[1].

فيما في العصر الحديث تُعرَض أربعةُ نماذج للإنسانوية (الإنسانوية: الماركسية، البراغماتية، الوجودية، الهيدجرية)، وتشترك الثلاثة الأولى منها بمضامين مع الإنسانوية التنويرية، لكن الإنسانوية الهيدجرية ليس لها أي علاقة بها، ويشترك البراغماتيُّون مع الإنسانويِّين التنويريين في التركيز على العقل الإنساني، لكن يخالفونهم بالتركيز على حرية الإنسان. يُركِّزُ الإنسانويُّون الوجوديُّون كالإنسانويِّين التَّنويريِّين كثيراً على حرية الإنسان، وفي المقابل لديهم مشكلة مع تقدُّم العقل البشري ورِفعته. ويشترك الإنسانويون الماركسيُّون مع الإنسانويين التنويريين في قضية الاستقلال والتساوي بين البشر، لكنهم يُخالفونهم في قضية اختيار الإنسان وحريته[2].

ويمكن تناوُل أنواع الإنسانوية (من حيث علاقتها بالدِّين)، فبعكس الفَهمِ السائد للإنسانوية أنها مخالفةٌ للدين، فإنَّ مفردة الإنسانوية بذاتها لا تتضمَّن مخالفةً للدين أو مخالفةً لله[3]؛ ولكن قد تُقسَّم الإنسانوية في تقسيم عامٍّ إلى إنسانوية دينية وإنسانوية علمانية. كما يلي.

1 - John Luik: “Humanism”, in Routledge Encyclopedia of Philosophy, p.p. 530- 531.

2 - Ibid, p. 528.

3 - Josh McDowell & Don Stewart, Handbook of Today Religions: Understanding Secular Religion, p. 75.

ثالثا: الإنسانوية الدينية

الإنسانوية الدينية هي الإنسانوية التي تُؤمِنُ بمنزلة الإنسان الكبيرة ومقامه، مع الحفاظ على الاعتقادات الدينية والغيبية، وبتعبير آخر تشترك الإنسانوية الدينية مع باقي المدارس الإنسانوية بالرَّغبة في الحفاظ على حياة الإنسان ورفع جودتها، لكن تنفصل عنها في إيمانها بأن المصدر الرئيس للقدرة البشرية وهدفها هو الله الخالق المُنجي[1].

وعلى الرغم من أن التعريف، الذي عُرض للإنسانوية الدينية، له معنى عامٌّ، وينبغي منطقيّاً أن يكون بهذا الشكل، لكن الإنسانوية الدينية هنا تشير إلى الإنسانوية المسيحية؛ لأنه واستناداً إلى المنطلق والبيئة التي ظهرت الإنسانوية فيها وازدهرت، إضافة إلى ما كان من ردود فعل للمُتديِّنين المسيحين تجاهها، والأصوات المعارضة التي ظهرت آنذاك، كذلك بالنظر إلى أن بعضاً من المواضيع التي طرحها العلمانيون كانت تستهدف الدين المسيحي، فإنَّ المقصود من الإنسانوية الدينية هو الإنسانوية المسيحية.

ظهر هذا النَّوع من النزعة الإنسانية في أوروبا الشمالية، واتَّبع شعاراً إنسانويّاً معروفاً هو الرجوع إلى الينابيع الرئيسة، فأقبل الإنسانويون في أوروبا الشمالية، مثل نظرائهم الإيطاليين، على تحصيل العلوم الكلاسيكية، وقاموا بترجمة المُؤلَّفات الكلاسيكية، وكانوا يَرَونَ أن المبادئ الأخلاقية موجودةٌ في المؤلَّفات الكلاسيكية، وأنَّها أكثر إنسانية بالمقارنة مع الجدل العَقَديِّ للعلماء المَدرَسِيِّين القروسطيين. لذلك فقد كان الإنسانويون الشماليون، عند مراجعاتهم لمدونات العهد القديم، يهتمون بالمصادر المسيحية الأولى كالكتب المُقدَّسة ومدونات الآباء الكَنَسيِّين من قبيل (آغوستين - Augustine) و(أمبروزيوس - Ambrose) و(جيروم - Hieronymus)[2]، وفي رأي هؤلاء الإنسانويِّين أنَّ النصوص الكلاسيكية نقلَتْ تجاربَ إلى الأجيال القادمة، وأنَّه يُمكِن استرجاعُ محصول تلك التجارب مرّةً أُخرى بالعمل على النصوص وبالأسلوب نفسه[3].

---

1 - R. William Franklin & Joseph M. Shaw: The Case for Christian Humanism, p. 5.

2 - إشبيل فوغل: الحضارة في غرب الأرض، ج 1، ص.ص. 575 - 576.

3 - Alister E: McGrath: Reformation Thought an Introduction, p. 46.

كانَتِ الميزةُ الأهم لهؤلاء الإنسانويين الاهتمامَ بالإصلاح الديني؛ حيث كانوا يؤمنون بأنه يُمكِن من خلال الاستمداد من المصادر الكلاسيكية، ولاسيما المسيحية ومؤلَّفات القدماء، أن يُؤدِّي ذلك إلى انتقال تجربة المسيحيِّين الأوائل، التي ذُكرت في العهد الجديد، إلى مَن يَفصلهم زمانٌ بعيد عنهم، ومن جهة أخرى، فإن استدعاء هذه التعاليم يُؤدِّي إلى تماسُك الكنيسة المسيحيّة، وهكذا يُمكِنُ تعزيز مسار التَّقوى الحقيقية والباطنية أو الشعور الديني الباطني للناس، وإصلاح المجتمع والكنيسة[1].

كان الإنسانويون الدِّينيون يُؤمنون بأن تغيير المجتمع يحتاج بداية إلى تغيير الإنسان، واستناداً إلى ذلك وللوصول إلى هذا الهدف اتَّفقوا على دعم المدارس، وأتاحوا طبعات حديثة للمُؤلَّفات الكلاسيكية، ووَفَّروا نسخاً جديدة من الإنجيل ومؤلَّفات الآباء الكنسيِّين[2]. ويمكِن الإشارةُ إلى أوائل الشخصيات التي تمُثِّل هذا النوعَ من الإنسانوية من قبيل: (دسيدريوس - Desiderius) و(أراسموس - Erasmus) و(توماس مور - Thomas More) ... وعلى نفس المنوال يمكن اعتبار شخصيات أخرى غير كنسية إنسانويِّين دينيِّين، مثل: (شلايرماخر - Schleiermacher)، و(كيركغور - Kierkegaard)، و(رودولف بولتمن - Rudolf Bultmann)، و(بول تليخ - Paul Tillich)، و(كارل بارت - Karl Barth).

رابعًا: الإنسانوية العلمانية

استمرَّ المَسير إلى أن أصبح «الإنسان هو معيار كلِّ شيء» في الفهم العلماني: فالإنسان هو المقياس الرئيس والنِّهائي الذي تُقاس الحياة به، وتُقوَّم الحياة برمّتها أيضاً به، كما تستند أمور كالقانون والعدالة والحُسن والجمال والحق والباطل جميعها إلى القواعد البشرية، وهي بدورها تُقوَّم بدون الإيمان بالله أو الكتاب المقدس[3]، حيث إنَّ الإنسان هو محور الوجود ومركزه ومركز

1 - Alister E: McGrath: Reformation Thought an Introduction, p. 47.

2 - إشبيل فوغل: الحضارة في غرب الأرض، ج 1، ص 576.

3 - Josh McDowell & Don Stewart: Handbook of Today Religions: Understanding Secular Religion, p. 76.

سائر الأشياء، بل إنَّ الإنسان هو خالق ربِّه؛ ففي هذا الفهم ليس ثمة أي قيمة وراء الإنسان، وكلُّ شيء يدور حولَ الإنسان، والإنسان هو معيار المعرفة ومعيار القيمة ومعيار الحقانية والحق والباطل، ويمُكِن العثور على هذه الرؤية في مؤلَّفات مفكرين مثل: (ماركس - Marx)، و(كانت - Kant)، و(أوغست كونت - Auguste Comte)، وأيضاً في مدارس كالوجودية. ويمكن الاطلاع على رُؤى الإنسانوية العلمانية في ميثاقَين، نُشِر أحدُهما في العام 1933م والآخر في العام 1973م[1].

والإنسانوية العلمانية هي سيرورةٌ تكاملية، بدأت منذ عصر النهضة ضمن خطوات:

■ **الخطوة الأولى:** هي التي بدأت من القَرنَينِ السادس عشر والسابع عشر، عندما تَناسى الإنسان بجفاءٍ جذورَه المُغذِّية، وشرع في تأسيس حضارة معتمدًا على قدرة العقل البشري، بعد أن كان في زمنٍ لا يَزال يمُضي شؤونَ حياته على أساس الأنموذج المسيحي، الأنموذج الذي أُصيب بالتحريف تدريجيّاً.

■ **الخطوة الثانية:** هي التي اشتملت على القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث فصَل الإنسان نفسَه عن المعايير فيما وراء الطبيعية، وآمن بأن عليه أن يتحرَّر من خرافات الدين المسيحي الوحياني، وأن يضع نفسه في معرض الحُسن والإحسان الطبيعي والفطري.

■ **الخطوة الثالثة:** هي زمن التخريب المادي للقيم، زمن الثورة التي وضعَ الإنسانُ غايتَها ونهايتها، بحيث لا تَخرج جزماً عن ذاته.

خامسًا: مبادئ الإنسانوية

1 - النزعة الطبيعية

يشترك الإنسانويون مع الماديين وذوي النزعة الطبيعية في معارضتهم الفلسفة الميتافيزيقية (ما وراء المادية) على مستوى الرؤية الكونية، وعلى الرغم من أن هذا لا يعني لزوماً كونَهم ماديين أو طبيعيين[2]؛ فالإنسان برأي الإنسانويين هو جزءٌ من الطبيعة، بِغَضِّ النظر إن كانت له أبعاد خاصة

1 - Josh McDowell & Don Stewart: Handbook of Today Religions: Understanding Secular Religion, p.p. 78 - 80 & James Hitchcock: What is Secular Humanism? p.p. 11 - 15.

2 - Paul Kurtz: Toward a New Enlightenment: The Philosophy of Paul Kurtz, p. 50.

وراء الطبيعة كالحرية أم لا، ولم يكن الإنسانويون يرفضون النهاية الراقية، وحياة ما وراء الطبيعة، والسعادة والجنة الأبدية، بل كانوا ينظرون إلى هذه الأمور على أنها وقائع ومسائل ينبغي أن تُبيَّن وتُفسَّر من خلال المصطلحات الطبيعية، كباقي المعلومات والأمور التي يُجرِّبُها الإنسانُ[1].

كما كان للإنسانويين مسعى جديٌّ لإعادة تقييم وتقويم احتياجات الإنسا،ن والعلاقات الناظمة له مع الطبيعة، وسعَوا في هذا المضمار وبهذه الرؤية إلى القيام بإصلاحات بنيوية، وتعديل في رتبة القيم الأخلاقية ومستواها[2]، حيث ركَّز الإنسانويون في هذا البُعد على اللَّذة الإنسانية، ودافعوا استناداً إلى ذلك عن الفكر «الإبيقوري»[3]، وعمومًا كان الإنسانويُّون من الاتجاه العلماني مع نظرائهم الماديين وذوي النزعة الطبيعية (العلمانيين) مُعرضينَ عن القبول بأن الله هو المَنبعُ غير المحدود لسائر الموجودات وجميع القيم، أو القبول بأَنَّ ثمَّةَ برزخًا بين الطبيعة وما وراء الطبيعة. وهذا مبدأ من المبادئ التي يلتزم بها جميع الإنسانويين[4].

2 - الإنسان مصدرٌ للقيم

إن مصدر القيم الأخلاقية، كما يراه الإنسانويين هو الإنسان نفسه وتجاربه، ولا ينبغي البحث عن مصدر القيم في أمور ما بعد الطبيعة، لذلك فإن المعايير الأخلاقية ليس مكانُها فيما وراء الحياة، بل هي موجودة في قلب الحياة وعليه، فإن أغلب الإنسانويين يؤمنون بأن الإنسان قادرٌ على اكتشاف مصادر الحياة المنشودة من الناحية الأخلاقية، ولهذا السبب فإن الإنسانويين لديهم انتقادات قوية للقوانين والتعاليم المنبثقة عن الدين؛ حيث برأيهم إن الأديان الإلهية قَمَعَت -دائماً- الغرائزَ الإنسانية، وتغافلَت عن حرية الإنسان، وبما أن منبع القيم هو الإنسان نفسه فليس ثمة قيمة مطلقة أو نَسَق منفصل عما يختاره الإنسان فرديّاً أو اجتماعيّاً.

القِيَم الأخلاقية -استناداً إلى الرؤية الفردية الإنسانوية- هي قضايا فردية وشخصية، تنبثق من

1 - Paul Kurtz: Toward a New Enlightenment: The Philosophy of Paul Kurtz, p. 50.

2 - Nicola Abbagnano: “Humanism”, in The Encyclopedia of Philosophy, Paul Edwards, p. 133.

3 -Paul Kurtz: Toward a New Enlightenment: The Philosophy of Paul Kurtz, p. 71.

4 - Ibid, p. 50.

الطبيعة البشرية (وهذا ما ينسجم مع خصائص النزعة الطبيعية لديهم أيضاً)، لذلك فإن القِيَمَ تتبدَّل إلى أمور فردية وشخصية ونسبية، تختلف من فرد إلى آخر، وليس لها أساس أو مبدأ سوى الميول الشخصية للبشر ونوازعهم.

أدَّت حالةُ الفردانية ونسبية القيم لأزمة أخلاقية في الغرب، وبعد أن ألغى (نيتشه - Nietzsche) بمطرقة الفلسفة كلَّ الأصول القِيَميّة للحضارة الغربية -منذ (سقراط) وما بعده- وعدَّها دون قيمة، تحوَّلَت قِيَم الفردانية والنبيشة إلى حقيقة مقبولة في الغرب. هذه الأزمة أوصلت الإنسان إلى "الغربة" و"الوحدة". ثم أوجدت هذه النزعة الفردية القوية فضاءً جديداً من عدم التفاهم والبهيمية (الغرائزية) والانفصال، وكما يقول (جون بول سارتر - Jean-Paul Sartre) تحوَّل الإنسانُ إلى "شيء في نفسه" لا يَنكشف وراء تجلِّيه الظاهري لأيِّ أحد بتاتاً، وعَدَّ الوجوديون من أتباع (سارتر) -استناداً إلى هذه الرؤية- القلقَ والوحدةَ قدَرَ البشر في العصر الراهن[1].

3 - النزعة العقلانية

من الركائز الرئيسة للإنسانوية النزعةُ العَقلانية، والاعتقاد بالاكتفاء الذاتي، واستقلال العقل البشري في معرفة نفسه والوجود، والسعادة الحقيقية وطريق الوصول إليها[2]؛ حيث يرى الإنسانويون في البُعد المعرفي أنَّ ما لا يُمكِنُ كَشفُه بالقوة العقلانية البشرية لا يُعَدُّ موجوداً، ولهذا السبب وفي البعد الوجودي يَظنُّون أنَّ كلَّ موجود يُنسب إلى ما وراء الطبيعة (مثل: الله والوحي والمعاد والإعجاز كما يُعرض في الرؤية الدينية) مُجرَّدَ ادِّعاءات لا يمُكن إثباتُها وقضايا لا معنى لها، أما في البعد القيمي فيعتقدون أن القيم الحقوقية ينبغي أن تُحدَّد بالاستلهام من العقل البشري. وحصيلة هذا النوع من الفكر هو عبادة العلم أو الاستلاب العلمي، وهذا ما يُشير إليه أيضًا عداءُ الإنسانويين الشديد للقرون الوسطى، وتعلُّقهم القلبي الكبير باليونان؛ فهم يَرَون بأن اليونان القديمة هي مرحلة التعقُّل، والقرون الوسطى هي عصر حاكمية الجهل والخرافات، كذلك اشتملت هذه النزعة العقلانية والتجريبية، مُتّسِعةُ الرُّقعة، على مجالاتها القيمية الخاصّة بالدِّين والأخلاق أيضاً، حيث رأوا أنَّ كلَّ شيء -ومن بينه القواعد الأخلاقية- هو صناعة بشرية، وينبغي أن يكون كذلك[3].

---

1 - شهريار زرشناس: مدخل إلى الإنسانوية وفن الرواية، ص27.

2 - John Luik: "Humanism", in Routledge Encyclopedia of Philosophy, p. 530.

3 - أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ج2، ص567.

4 - المداراة

تشتمل الرؤية الإنسانوية، بالنسبة للأمور الدينية، على روح المداراة؛ فتَعدُّ نظرةَ المساواة بين كل أنواع الإيمان الديني، وإمكان السلام الشامل بينها جميعاً، الركيزةَ الرئيسة لروح التساهُل هذه[1]، ويُنمِّي روح المداراة كذلك نزعةُ «العودة إلى الجذور» التي تُعَدُّ أساسَ نزعة المساواة وتوحيد الأديان، بتعبير آخر، مقصود الإنسانوية من التساهُل الدِّيني ليس التَّعايُشَ السِّلمي بين صنوف الأديان وادِّعاءاتها، بل المقصود هو شيء يُبتنى على وحدة المبدأ الذي يمَنع الاختلافات الدينية مع كل ما هو قَيِّم، وهذا هو معنى العودة إلى المبدأ الأول.

«العودة إلى المبدأ الرئيس» هي فكرة تُوجَد في «المدرسة الأفلاطونية الحديثة»، وقد استلهَم الإنسانويُّون هذه الفكرة من هناك. بالطبع فإن ماهية هذه الفكرة هي دينية بحتةٌ، بمعنى أن المُرادَ من «المبدأ الرئيس» هو الله والعودة إليه، بمعنى حركة عكسية لعملية الصُّدور التي حصلت من الله، واستمرت في إيجاد الموجودات خلال مسار صعودي لميل الفرد للاتِّحاد مع الله. وقد جرى الحفاظ على هذا المبدأ في الإنسانوية، لكن بتغيير في المعنى، ثم اتَّخذ معنًى عالميّاً وتاريخيّاً لدرجة إغفال المعنى الديني تماماً، لذلك فإنَّ المصدر الذي سيعود إليه الإنسان هو المبدأ الأرضي للإنسان والعالم الإنساني وليس الله[2]، وعندما تُعرَض قاعدةُ وحدة المبدأ الواحد لا يبقى أيُّ مكان للتعصُّب والاستعلاء، لأن الجميع ينهضون من مبدأ واحد، وهنا يأخذ التَّساهُل والمُداراة معناهما.

سادسًا: نقد الإنسانوية

لمَّا كان التَّيار الإنسانويُّ قد تعرَّضَ لمبادئ وأسسٍ خاصة، وحصل على مكتسبات على مدى عدة قرون خَلَت، فقد استتبع ذلك تبعاتٌ ونتائجُ، جعلت من هذا التيار عُرضةً للنقد والإشكال، نُشير إلى بعض منها، وهي:

1 - Nicola Abbagnano: “Humanism”, in The Encyclopedia of Philosophy, Paul Edwards, p.p. 71 - 72.

2 - Ibid, p. 132.

1 - عدم وجود حقائق ذاتية (النسبية)

لا تُبقي الإنسانويةُ، بقبولها لمبادئ مثل: «محورية الفرد»، مكاناً للحقائق والواقعيات في نفس الأمر. بتعبير آخر عندما يُصبِحُ من المُقرَّر أن يكون الإنسانُ هو محور كلِّ شيء فلا يَبقى ثمة معنى للحديث عن نفس الأمر، وهو عين ما قاله (أرسطو) في نقده (بروتاغوراس - Protagoras): «ذلك الرجل (بروتاغوراس) أيضاً قد قال إن الإنسان هو معيار (مقياس) جميع الأشياء، إلا أن ثمة مظهرًا لكل فرد يقيناً، وإذا حصل ذلك فستكون النتيجة أنَّ ذلك الشيء هو 'وجود' و'عدم' في الوقت نفسه.»[1]، أي أنه عند التسليم بـ"نسبية الحقيقة" يختلف العالم الحقيقيُّ للبشر؛ إذ ليس ثمةَ قاسم مشترك يكون معياراً أو مقياساً للحقائق، كما أن الحديث عنه هو أمر لا طائل له؛ لأن معيار الأشياء هو رأي البشر ورُؤيتهم، حتى ولو كان هذا الاختلاف في الرأي حول شيء ما وفي وقت واحد، كما يستلزمُ هذا الرأيُ أن تجتمع أمورٌ متناقضة في زمن واحد ومن جهة واحدة.

5 - عدم احترام المبادئ الأخلاقية والقيمية

أحدُ المبادئ الإنسانوية هو التحرُّر من أي قيد وحدٍّ من خارج الذات البشرية؛ فالذات البشرية هي التي تستطيع أن تختار طبيعتها ومكانتها وتَشكُّلَها بأي صورة حسب ما تريد، ولكن هذه الحرية غير المنضبطة تفتح الطريقَ لكسر القيود، ولإغفال الحقائق الأخلاقية والمقدسة، ونتيجة لذلك تفتح الباب على مصراعيه لهيمنة الهوى على البشر.

6 - تناقض الفكر والعمل

أحد الانتقادات الرئيسة للفكر الإنسانويِّ هو وجود فجوة عميقة بين الإنسانوية، بكونها الفكر البديل، وما ظهر عمليًا في تاريخ سيطرة الإنسانوية على المجتمعات البشرية، فالنهضة الإنسانوية بدل أن تُجِلَّ مقامَ الإنسان ضحَّت به عمليّاً فداءً لهذا الأفيون الجديد، كما أن أدعياء الإنسانية استغلوا هذه المصطلحات الرنّانة لتأمين مصالحهم، ومنذ بداية الأمر والحديث المُنمَّق عن حقِّ الحياة والحرية والسعادة والرفاهية، بكونها حقوقاً بشرية إنسانوية، وحتى قرن كامل كانت عبودية الأفارقة قانونية في أمريكا[2]. وكان ثمة جماعات بشرية كثيرة تُقمَع في المجتمع تحت

1 - أرسطو: ما بعد الطبيعة، ص358.

2 - راجع: بابك أحمدي، لغز الحداثة، ص.ص. 110 - 111.

مُسمَّى الإنسانية الحديثة، حيث كانت النازية والفاشية والإمبريالية توأماً للإنسانوية ومرافقاً لها.

7 - فقدان البعد الفكري

أحدُ أهمِّ نقاط ضعف الإنسانويّة هو عدمُ توفُّر أدلة على ادِّعاءاتها وأُسُسِها؛ فالإنسانويُّون مُبتلَون بنوع من الحركة الحسية والعاطفية في مواجهة الكنيسة، ترافق مع ذلك حالةُ هيام ومَيلٍ للروم واليونان القديمة، أكثر من أن يكونوا أصحاب أدلة وبراهين على ادِّعاءاتهم، فما الدَّليلُ الذي يستند إليه أصحاب البعد الإنساني العلماني ممَّن يجعلون الإنسان محوراً ومقياساً لكل شيء، ويَرفضون أيَّ نوع من الحقائق الخالدة والمطلقة، ويُنكرون جميع الموجودات الغيبية، ومن بينها الله وعالم ما بعد الموت (عالم الآخرة)؟ وكيف لهم أن يُطلقوا هذه الادِّعاءات الكبيرة؟

في الحقيقة ليس لديهم دليلٌ في البعد الوجودي والمعرفي على تحرُّر الإنسان والحرية المُطلَقة للبشر، ولا حُجّةَ لرفض وجود الله والنظام الناجم عنه، ولا بديل يُعوِّض الاستغناء عن الوحي، بل إنَّهم لم يُقيموا أيَّ دليل حتى في البُعد القيمي على ارتكاز القيم الأخلاقية والحقوقية على الآمال والأحلام والظُّنون والأفكار البشرية، بل لا يُمكن لديهم أيضاً إثباتُ القضايا العقلية والفلسفية بالتحليلات النفسية لبعض الفلاسفة الإنسانيِّين أو حتى رفض ذلك، بل إنَّ الأدلة العقلية والنَّقلية والشواهد التجريبية تدلُّ على خلاف ما ذهبوا إليه[1].

8 - سقوط الإنسان

أغلبُ الإنسانويِّين يقولون بالنزعة الطبيعية للإنسان بنحوٍ ما، لذلك، فإنَّهم يُقدِّمون الإنسانَ بكونه موجوداً طبيعيّاً ومُتماهٍ مع الحيوانات، وبطبيعة الحال فإن نتائج هذا النَّوع من النظرة للإنسان هي النَّظرة النَّفعية، وأصالة اللَّذة المادية، وفساد الإنسان، وسقوطه من جهة، ورفض أيِّ نوعٍ من القِيَم الأخلاقية والحقوقية والغيبية والفضائل والكمالات المعنوية والسعادة الأبدية من جهة أخرى، وعليه فإنَّ الإنسانوية في الحقيقة تُؤدِّي إلى إهانة الإنسان ومَقامه الشَّامخ في عالم الوجود وبينَ الكائنات؛ فالإنسان الذي يُعَدُّ في الرؤية الدينية أشرفَ المخلوقات ومركز عناية العالم وحامل الأمانة الإلهية، يَتحوَّل فيها [في النزعة الإنسانوية] إلى موجود وحيد ومُتفرِّد، هو نتاجٌ للتكامل البيئي الحيوي للموجودات، وخَلَفٌ للقردة والشمبانزي، وهي بالنتيجة تُنكِر جميعَ

1 - راجع: محمود رجبي: علم الإنسان، ص.ص. 53 - 55.

القِيَم المعنوية والعَظَمة الروحية له، أما في الرؤية الكونية الدينية فالإنسان هو أكثر المخلوقات قيمةً، ولَهُ سُخِّرت جميعُ المخلوقات والعالَمُ بأسره، ليستفيد منها جميعاً. وقد كانت عظمة الإنسان وقيمتُه لدرجة أنَّ اللهَ أمرَ الملائكةَ أن يسجدوا له، لكن الإنسان في الرؤية الإنسانوية وفكرها يَرى الموجودات الأخرى والعالم بأسره مُغايراً له، وقد تقطَّعَت أواصِرُه مع المعنويات. فالإنسان يَعيش في عالمٍ أصمَّ وأعمى، مُفتقِدٍ للأحاسيس، يَشعرُ فيه بالغربة والقلق.

9 - الحرية غير المقيدة

يَرى الإنسانويون أن الدفاع عن القيم الإنسانية والنظم الفلسفية المغلقة والمبادئ والعقائد الدينية والاستدلالات المجردة في القيم الإنسانية هو أمرٌ غيرُ مقبول، وعلى الإنسان أن يُجرِّبَ الحريةَ في الطبيعة، وأن يَحظى بصلاحيّة كاملة لبناء عالم حقيقي تغييري، حسب الأوضاع المحيطة به، ولكن هذا النوع من الحرية غيرِ المُقيَّدة يُؤدِّي عمليّاً لأن تغدو الحرية أداةً لظلم الإنسان، وإغفال حقوقه وقيمه الحقيقية، بدلَ أن تُوفِّرَ الأرضيةَ اللازمةَ لازدهاره وتأمين حقوقه واحتياجاته كما ظهر ذلك على هيئة الفاشية والنازية.

ومن جهة أخرى فإنَّ الحريةَ الإنسانوية، التي لا حَدَّ ولا قَيْدَ لها، لا تُبقي مجالاً للتكليف والمسؤولية ومراعاة المصالح العامة؛ ففي هذه الرؤية يَجري الحديثُ عن حقوق كلِّ إنسان (وليس تكليفه). فعليه أن يأخذَ حقَّه لا أن يَعمل بتكليفه، لأنه لو كان ثمة تكليفٌ فهو لتأمين حريته. وعلى هذا الأساس يُمزِّقُ الإنسانَ تحتَ وطأة هذا الضَّغط شرنقةُ وحدتِه، وعندما يرتبط مع الوجود ومظاهره ستكون نيّتُه فقط استغلالَ هذا الوجود وتغييرَه والتَّصرُّف فيه فحسب، بدون أي إدراك ومعرفة. كما يَفقد الإنسان في هذه الحالة مواكبتَه القلبية للطبيعة ومظاهرها، وسينتج عن ذلك أزمةٌ بيئيّةٌ، وهي التي تُعَدُّ من الأزمات الأهمِّ في الألفية الثالثة في العالم.

الحرية الإنسانوية في شكلها الاجتماعي هي حكم الشعب والنسبية في القيم الاجتماعية، تُرافِقُها حقوقٌ عليها ما عليها من إشكالات عديدة، لا مجال لنقاشها هنا. فضلاً عن ذلك فإن الله هو المصدر لوجود المخلوقات في رؤيتنا الدينية، وقد خُلق البشر متساويين، فجميعهم مُكلَّف أمام الأوامر الإلهية، والحكم لله ولمن هم كالأنبياء والأئمة ونُوّابهم، فهو الذي وهبَ هذا النَّوعَ من الحُكم لهم. وتُحدَّد القِيَمُ الأخلاقية والحقوقية من الله -عز وجل- ويَجري تلقِّيها منه، وهي ثابتة لا تتغيَّر.

إنَّ حرية البشر في الرؤية الإنسانوية يمُكن لها أن تتجاوز الحدود والقيود الخاصة بالمعتقدات الدينية، لكن في الإسلام والأديان السماوية، فضلاً عن الإطار الخاصِّ بحقوق البشر، فإن لبعض المعتقدات والمقدَّسات إطارًا ينبغي مراعاته.

10 - التسامح والتساهل

كما مرَّ فإنَّ أحد المبادئ الرئيسة للإنسانوية هو التساهل والمداراة المُطلقَين تجاه كافة العقائد، وتستند هذه القضية على أُسُسٍ كالنسبية والشّكِّ المعرفي المرفوضَين، واللَّذَين لا ينسجمان ويختلفان من جهات عديدة مع ما جاءت به الأديان السماوية، ولا سيما الإسلام؛ إذ لا يقبل الإسلامُ التساهُل والتسامحَ في مواجهة أيِّ دين (حتى الأديان غير السماوية) وأتباعه، وفي المقابل له موقف غيرُ مُتصالِحٍ مع الكُفر والإلحاد. حتى فيما يتعلَّق بأتباع الأديان السماوية أيضاً، فإنَّ للمداراة الإسلامية حدودًا وقيودًا وإطارًا خاصًّا بها، وليس مسموحاً في المجتمع الإسلامي وبين المسلمين الدعوة للأديان الأخرى دون قيد أو شرط.

11 - العدمية

عندما يكون المحورَ والمقياسَ في جميع الأشياء الإنسانُ فلن تكون النتيجةُ إلا النُّزوعَ نحو العَدَمية في فضاءات الروح والذهن وأدائه، وفي هذه الحالة سيَحِلُّ العَدَمُ محلَّ الوجود. كما أن النَّزعةَ العقلانيةَ للإنسان تتبدَّل فيها الكُلِّيات إلى جزئيّات، وفي خِضَمِّ التَّنازُع بينَ أفراد البشر سيَتعدَّد معيارُ الحُسن والقُبح بعدد أفراد البشر، وأخيراً فإنَّه لن يَبقى معيارٌ، وسيفقد كلٌّ من الخيرِ والشَّرِّ والحَقِّ والباطل والعدالة والظُّلم المعانيَ الخاصّةَ بها.

إن العَدَمية هي الإنجاز البارز لمحورية الإنسان، بمعنى انعزال الأفراد وانفصام عُرى آخِر العلاقات المثالية، واستحكام الشَّكِّ المتُزايد بالنسبة للدول والأيديولوجيات الحاكمة، وبشكل عام رفض جميع القيم البشرية الثقافية؛ لأنَّ الاعتماد على الفردية والحرية الشخصية يُؤدِّي إلى إنكار أيِّ مثالية محسوسة، وعدم قبول النظام القيمي أيضاً، وفي هذا الوضع لا يرى الإنسانُ نفسه مُلتزماً بأي شيء، ويعيش دون اكتراث، وبتعبير آخر، فإنَّ الإنسانَ يَقبع في فضاءات من التَّشتُّت والعَبثية والمساعي غيرِ الرّامية لأي هدف، وفي تمَضية الوقت دون نتيجة، وفي مسارٍ لا نهايةَ له، وفي زمنٍ يفتقدُ لأيِّ نَوعٍ من الدَّوامِ والاستِمرارية، وفي بيئة ليس لها أيُّ ارتباط بأيِّ مرجعية محسوسة وملموسة.

12 - أزمة الفردية

أحدُ أركان الرؤية الكونية الإنسانوية هو «الفردية». وقد بلغ اتِّساع رقعةِ نفوذ الفردية في الفكر الغربي المعاصر حدًّا ظهرت من خلاله أزمة عامة في سائر أركان العلوم والفكر الغربي، أزمة تحدَّث عنها بعضُ المُفكِّرين الغَربيِّين أيضاً، فقد أطلق (إدموند هوسرل - Edmund Husserl) مُؤسِّس مدرسة "علم الظواهر" الفلسفية في المؤتمرات المَشهورة التي أقامها في العام 1935م على هذه الأزمة عنوانَ "أزمة الإنسان الأوروبي"، وبرأي (هوسرل) فإنَّ هذه الأزمة عميقة لدرجة يُشكِّكُ في إمكانية الغَرب على الخروج منها سالماً؛ كون تطوُّر العلوم مع النزعة الفردية وضعَ الإنسانَ في مساراتِ الفروعِ التخصُّصية الضيِّقة، فكُلَّما تحرَّك الإنسانُ في علمه أكثرَ ابتعدَ عن ناظرَيهِ العالَمُ بشموله وذاتيّته[1].

أدخل (روسو) ضمنَ الحركة الرُّومانتيكية «مُحوريّةَ الفَرد» إلى عالم الأخلاق والسياسة أيضاً، وحيثُ أنكرَت الرُّؤيةُ الكونيّةُ الإنسانويةُ الفكرَ الدينيَّ، وأنكرت هدفيّةَ العالَم وإمكانَ الإدراك فيه، وأخذت على الفكر الدِّيني قولَه بأنَّ العالَمَ هو وجودٌ له إدراكٌ يَبحث عن غاية مُتعالية، ويُبدي ردَّ فعل تجاه الظُّلم ومجافاة العدل، لكن في الرُّؤية الكونية الإنسانوية القِيَمُ الأخلاقية هي مجرَّدُ مسائل فردية وشخصية، مبدؤُها وأساسُها هو الطبيعة. وعلى هذا الأساس فإن العالَم لا يُبدي اهتماماً لكل ما يَحصل من ظلم وإجحاف، وأنه لا يوجد معيار ومِحَكٌ ثابتٌ لِتَشخيص الحقائق الأخلاقية والقيمية. وهكذا تتحوَّل القِيَمُ إلى أمور فردية وشخصية ونسبية، تختلف من إنسان إلى آخر. ليس ثمة أساسٌ ومبدأ إلا الرغبات والنَّزَعات الشخصية للبشر، ويمكن الإشارة إلى النظام الأخلاقي لـ(مور - Moore) القائم على النسبية كأنموذج بارز للفكر الإنسانوي في الأخلاق.

أوجدت هذه الفردية والنسبية الخاصة بالقيم أزمةً في أخلاق الحضارة الغربية، أزمةً تحوَّلَت من بعد نيتشه إلى حقيقة مقبولة في الغرب. وبالتالي فإن هذه الأزمة أدَّت إلى "غربة" الإنسان و"وحدته"، وأوجدَت هذه النزعةُ الفرديةُ المُتعصِّبة حالةً من عدم التفاهُم والتَّعاطي الكلامي، وافتراقاً في العلاقات والارتباطات بين الناس، حيث كلُّ إنسان تحوَّل إلى عالَمٍ مُختلف كليّاً، مُتقوقع على نفسه وفرديته وذهنيته الخاصة، ما حدا بالوجوديين التابعين لـ(سارتر) إلى الاستناد

1 - شهريار زرشناس: مدخل إلى الإنسانوية وفن الرواية، ص25.

إلى هذه الرؤية التي عدُّوا فيها القلقَ والوحدةَ هما القَدَرُ الخاصُّ بالبشر في عصرنا الراهن.

هذا، وثمة انتقادات كثيرة مُوجَّهة للإنسانوية فكريّاً، لا سيَّما في مجالات نظرية المعرفة الخاصة بها، لكن ولضيق المجال نترك ذلك لفرصة أخرى.

خاتمة

بدأتِ الإنسانوية الحديثة منذ عصر النهضة في الغرب، وطوَت إلى الآن ثلاثَ مراحل. سيطرَت فيها الإنسانوية على رقعة واسعة من الحضارة الغربية، بجعل الإنسان محوراً ومقياساً، وكذلك من خلال عرضها لمبادئ كالنَّزعة الطبيعية، وكون الإنسان هو المصدر والمُنبثَق للقيم وقضايا أخرى كالحرية والمداراة، لكن الإنسانوية وبسبب الإشكالات والنتائج الكثيرة غير المناسبة لها كالنسبية، وعدم احترام المبادئ الأخلاقية والقيمية، والتناقض في الفكر والعمل، وإهانة الإنسان عمليّاً وسقوطه، كلُّ ذلك جعلَ منها أمراً غير صالح.

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية

1. القرآن الكريم.
2. لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، بيروت، منشورات عويدات، لا ط.، 1996.

باللغة الفارسية

1. احمدى، بابك، معماى مدرنيته [لغز الحداثة]، طهران، المركز، ط2، 2001.
2. أرسطو، متافيزيك (ما بعد الطبيعه) [الميتافزيقا]، ترجمه بالفارسية شرف الدين خراسانى، غفتار، طهران، ط2، 1988.
3. برونوفسكى، ج. و ب. مازليش، سنت روشنفكرى در غرب [منهج التنوير في الغرب]، ترجمه بالفارسية ليلى سازغار، آكاه، طهران، لا ط.، 2000.
4. بوكهارت، ياكوب، فرهنگ رنسانس در ايتاليا [ثقافة النهضة في إيطاليا]، ترجمه بالفارسية محمد حسن لطفى، طرح نو، طهران، لا ط.، 1997.
5. بيمل، والتر، بررسى روشنگرانه انديشه هاى مارتين هايدگر [دراسة توضيحية لأفكار مارتن هايدغر]، ترجمه بالفارسية بيجن عبد الكريمى، سروش، طهران، لا ط.، 2002.
6. توكلي، غلا محسين، "الإنسانوية الدينية والإنسانوية العلمانية"، پژوهش هاى فلسفى ـ كلامى [البحوث الفلسفية والكلامية]، العددان 17ـ18، خريف وشتاء 2003، ص.ص. 46 - 64.
7. ديكارت، رينه، تأملات در فلسفه أولى [تأملات في الفلسفة الأولى]، ترجمه بالفارسية أحمد أحمدي، سمت، طهران، ط3، 2002.
8. ديورانت، ويل، تاريخ تمدن [تاريخ الحضارة]، مجموعة من المترجمين، مؤسسة الثورة الإسلامية للطباعة والنشر والتعليم، تهران، ط3، 1992.
9. رجبى، محمود، انسان شناسى [علم الإنسان]، مؤسسة الإمام الخميني قدس سره التعليمية

والبحثية، قم المقدسة، ط15، 2011.

10. زرشناس، شهريار، درآمدی بر اومانیسم و رمان نویسی [مدخل إلى الإنسانوية وفن الرواية]، برك، طهران، لا ط.، 1991.

11. شايغان، داريوش، آسيا در برابر غرب [آسيا في مواجهة الغرب]، أمير كبير، تهران، ط2، 1993.

12. فوغل، إشبيل، تمدن مغرب زمين [الحضارة في غرب الأرض]، ترجمه بالفارسية محمد حسين آريا، أمير كبير، تهران، لا ط.، 2002.

13. كانت، إيمانويل، بنياد مابعد الطبيعه اخلاق [الأسّ الغيبي للأخلاق]، ترجمه بالفارسية حميد عنايت وعلي قيصري، الخوارزمي، طهران، لا ط.، 1990.

14. تمهيدات [التمهيدات]، ترجمه بالفارسية غلام علي حدّاد عادل، النشر الجامعي، طهران، ط2، 1991.

15. سنجش خرد ناب [قياس العقل الأصيل]، ترجمه بالفارسية مير شمس الدين أديب سلطاني، أمير كبير، تهران، لا ط.، 1983.

16. كيوبيت، دان، دريای ايمان [بحر الإيمان]، ترجمه بالفارسية حسن كامشاد، طرح نو، طهران، لا ط.، 1997.

17. غنون، رنه، بحران دنیای متجدد [أزمة العالم المتجدد]، أمير كبير، تهران، ط2، 1993.

18. هايدغر، مارتن، درآمد وجود و زمان [مدخل إلى الوجود والزمان]، ترجمه بالفارسية منوتشهر أسدي، عبّادان، برسش، إصفهان، لا ط.، 2001.

باللغة الإنجليزية

1. Abbagnano, Nicola (1972), “Humanism”, in The Encyclopedia of Philosophy, Paul Edwards, NewYork, Macmillan and Free Press.

2. _____ (1973), “Renaissance Humanism”, in Dictionary of The History of Ideas, ed. Philip P. Wiener, NewYork, Charles Scribners Sons.

3. Ayer. A. J, (1968), The Humanist Outlook, Towards a Scientific Humanist

Culture, London, Pemberton.

4. Davies, Tony (1997), Humanism, London and NewYork, Routledge.

5. Franklin, R. William & Joseph M. Shaw (1991), The Case for Christian Humanism, Grand Rapid, Michigan William B. Eerdmans Publishing Company.

6. Heidegger, Martin (1962), Being and Time, tr. by John Macquarrie and Robinson, Sanfrancisco, Harper Collins.

7. Herde, Peter (1973), "Humanism in Italy", in Dictionary of The History of Ideas, (Studies of Selected Pivotal Ideas), E D, Philip P. Wiener, NewYork, Charles Scribners Sons.

8. Hitchcock, James (1982), What is Secular Humanism? Ann Arbor, Michigan, Servant Book.

9. Kurtz, Paul (1994), Toward a New Enlightenment: The Philosophy of Paul Kurtz, tr. Buliough Vern, Madigan Timothy, London, Transaction Publisher.

10. Luik, John (1998), "Humanism", in Routledge Encyclopedia of Philosophy, London and NewYork, Routledge.

11. McDowell, Josh & Stewart, Don, (1982), Handbook of Today Religions: Understanding Secular Religion, San Bernadino, California.

12. McGrath, Alister E. (1999), Reformation Thought An Introduction, Oxford UK & Combridge US, Blackwell.

13. Oskar Kristeller, Paul (1979), Renaissance Thought and its Sources, New York, Columbia University Press. Woodhouse, Arthar Satherland Pigitt (1971), "Humanism", in Ecyclopedia Britannica, Chicago, William Benton Publisher.

14. Webber, Robert E. (1982), Secular Humanism, Threat and Challenge, U.S.A, Zondervan publishing House.